THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال في القرآن

إعداد

عبدالله بن محمد العسكر

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول :

الاستفهام في اللغة

ينقسم الكلام عند البلاغيين إلى قسمين :

أ) خبر .   ب) إنشاء .

فالخبر هو : الكلام المحتمل للصدق والكذب (مفتاح العلوم للسكاكي **1/ 72**) .

والإنشاء هو : الكلام الذي يتوقف تحقق مدلوله على النطق به ،كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام (البلاغة العربية : أسسها وفنونها للميداني **170/1**) .

وينقسم الإنشاء إلى قسمين :

أ – طلبي : وهو ما يشتمل على التمني والترجي والاستفهام ، ويدخل فيه الأمر والنهي .

ب – غير طلبي : كأفعال المقاربة مثل قولك : (كادت الشمس أن تطلع) ، وأفعال المدح والذم مثل : (نعم دار المتقين) (بئس دار الكافرين) .

وموضوع بحثنا يدور حول أحد فروع الإنشاء الطلبي وهو الاستفهام .

وهو أسلوب من أساليب العربية ، عبارة عن تساؤلٍ قد يطلب جوابه ، وقد لا يكون مطلوباً وإنما أتي به لأغراض أخرى سيأتي الحديث عنها – إن شاء الله – .

وللاستفهام في اللغة أدوات منها :

الهمزة – هل – ما – مَنْ – أي –كم –كيف – أين – أنّى – متى – أيَّان .

وكل هذه الأدوات قد ورد السؤال بها في كتاب الله – تعالى – في مواضع كثيرة يصعب حصرها .

ولكل أداة من هذه الأدوات معانٍ ليس هذا مجال بسطها ، وهي معلومة في كتب النحو العربي .

والسؤال بهذه الأدوات قد يأتي في الجمل الخبرية كما يأتي في الجمل الإنشائية ، إلا أنه في الجمل الخبرية يدور حول معنيين : التقرير والإنكار ، وذلك لأنه على خلاف قاعدة السؤال والجواب ؛ حيث لا يراد به طلب المعرفة بالمسؤول عنه ، وإنما يراد به لازم الخبر .

ويمكن أن يمثل لما جاء لغرض التقرير بقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راحِ

وهذا السؤال جاء لغرض تقرير الصفة ، و هي شرف النسب وكثرة العطاء . ولا يراد منه الجواب بـ (نعم) أو بـ (بلى) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأما ما جاء لغرض الإنكار فمثاله قول الله تعالى : [أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ] [ق:15] ، وقوله : [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] . وهذا كله إنكار عليهم في تكذيبهم .

فائدة: قال الراغب:" السؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بـ (عن) وهو أكثر نحو [يسألونك عن الروح] وإذا كان الاستدعاء (مال) فإنه يعدي بنفسه أوبـ (من) ، وبنفسه أكثر نحو [وإذا سألتموهم متاعاً فاسألوهن من وراء الحجاب] [واسألوا ما أنفقتم] [واسألوا الله من فضله] . (الإتقان 1 / 228)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحـث الثانـي

مـادة (سَـألَ) في القـرآن الكـريم

جاءت مادة (سأل) في القرآن الكريم وما تفرع عنها على قسمين :

الأوّل : قسم لسؤال حاجة وليس لها جواب ، وإنما جوابها قضاء حاجتها كقوله تعالى :

[وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ...] ،وكقوله : [وَأَمّا السّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ] ، وهذا القسم ليس محلَّ بحثنا .

الثاني : ما جاء بمعنى الاستفهام وجاء معه جوابه ، وفيه تشريع الحكم لما سألوا عنه . وهذا هو مجال حديثنا في هذا البحث .

ومن أمثلة هذا النوع : سؤالهم عن المحيض وجاء معه الجواب :{ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ ...} ، وكسؤالهم عن الخمر والميسر وجاء الجواب :{ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنّاسِ ...}.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن هذه الأمة كانت قليلة السؤال ، وهذه ميزة تميزت بها عن سائر الأمم .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ρ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة كلها في القرآن " رواه الطبراني والبزار ، وقال الهيثمي في (المجمع **192/1**) : " فيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط ، وبقية رجاله ثقات " .

وقول ابن عباس هذا يدل بمفهوم المخالفة على أن الأمم الأخرى كانت أكثر مسألة .

والعبرة ليست في كمِّ الأسئلة ؛ بل هو في كيفها . حيث كانت أسئلة الأمم الأخرى فيها تعنُّت وتكلف وتعجيز ، وقد شاركهم في هذا مشركو العرب وأهل الكتاب ممن عاصروا بعثة النبي ρ .

ومن أمثلة ذلك :

قول مشركي العرب فيما حكاه الله عنهم : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ...] .

وسؤال أهل الكتاب : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي ...]

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث

الوجوه التي يأتي عليها السؤال والجواب

وهي كثيرة ، ولذا أمر الله – تعالى- عباده بالسؤال ، ودعا إليه ، وأخبر عن كثير من الرسل أنهم سألوه وأنه استجاب لهم دعاءهم ، وجاء الجواب الشافي ليكونوا على بصيرة من سؤالهم . ومن هذه الوجوه ما يلي :

1- سؤال التعليم ، وذلك كقوله تعالى : { فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (43) سورة النحل .

2- سؤال العطاء . وقد أمر الله به نبيه زكريا – عليه السلام – . قال تعالى : { قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء} (38) سورة آل عمران .

3- سؤال الالتجاء والاستعانة . وقد أخبر الله به عن أهل بدر فقال : {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} (9) سورة الأنفال .

4- سؤال المغفرة . وقد أمر الله به على لسان نوح – عليه السلام _ فقال : {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} (28) سورة نوح .

5- سؤال الشفاء وكشف الضر . وقد أخبر الله به على لسان أيوب – عليه السلام – فقال : {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (83) سورة الأنبياء .

6- سؤال المناقشة والمحاسبة . وقد أخبر الله به عن خلقه يوم القيامة كما قال تعالى : {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ – عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (92- 93) سورة الحجر.

7- سؤال المخاصمة والتعنت . وقد أخبر الله به عن منكري البعث . ومثاله قوله تعالى : {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} (1) سورة النبأ .

8- سؤال الطلب والاستجابة . وقد أخبر الله به رسولَه – صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... } (186) سورة البقرة .

9- سؤال الاستفتاء والمصلحة . ومثاله السؤال عن المحيض والهلال واليتامى ، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا – إن شاء الله – .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الرابع

الأحوال التي يأتي عليها السؤال والجواب

1– الأصل في السؤال أن يكون مطابقا للسؤال . ومثال ذلك قوله تعالى : {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ...} (4) سورة المائدة .

2– قد يعدل فيه عما يقتضيه السؤال إشارة إلى انه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال ، وهو ما يعرف بأسلوب الحكيم . ومثاله قوله تعالى : {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ – قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ – قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ }(23–24–25) سورة الشعراء .

وقد كان سؤال فرعون عن الجنس والماهية ، وهذا مما لا ينبغي السؤال عنه ، فجاء الجواب ببيان الوصف المرشد لمعرفته ؛ ولهذا تعجب فرعون من عدم مطابقة الجواب للسؤال فقال : { أَلَا تَسْتَمِعُونَ }.

3– وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال لحاجة العباد إليه ، ومثاله قوله تعالى : {قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ – قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ} (63–64) سورة الأنعام .

وهذا ظاهر فإن السؤال عن من ينجيهم من ظلمات البر والبحر ، فجاء الجواب ليبين لهم أن الله – تبارك وتعالى – هو الذي ينجيهم من ظلمات البر والبحر ومن جميع الكرب ثم هم بعد ذلك يشركون !!

ومثاله أيضا قوله تعالى :{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى– قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} (18 –17) سورة طه .

فالزيادة في الجواب منه – عليه السلام – استئناسا بمخاطبة الله ورغبة في إطالة الحوار .

ومثله قوله تعالى عن الخليل – علبيه السلام – : {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ – قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ} (70 –71) سورة الشعراء . فزادوا في الجواب إظهارا للابتهاج بعبادتها والاستمرار على ذلك إغاظةً للسائل .

4– وقد يجيء الجواب أنقص من السؤال لاقتضاء الحال لذلك ، كما في قوله تعالى : {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (15) سورة يونس.

فهنا طلبوا التبديل أو الإتيان بغيره ، فأجيبوا بنفي التبديل لأنه حينئذٍ يكون نفي الإتيان بغيره أولى وأحرى .

5– وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع . ومثاله قوله تعالى : {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (34) سورة يونس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهذه الآية جاءت جوابا لسؤال متوقع منهم وهو قولهم : (من يبدأ الخلق ثم يعيده ؟) فجاء الجواب : { قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}.

ومثلها قوله تعالى : {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ...} (35) سورة يونس .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحــث الخامس

أنـــواع الســؤال فـــي القـــرآن

من خلال الاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم من سؤالاتٍ أيّاً كان الغرض منها يمكن لنا أن نصنفها إلى أنواع ستة، وهي على النحو التالي :

أولاً : أسئلة عن المغيبات

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من المسائل التي سأل أقوام عنها النبيَّ ρ مما هو من جملة المغيبات ، سواء أكانت من الماضي أم من المستقبل ، فكل ذلك من الغيب ؛ لأن تعريف الغيب هو : "كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة " (أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – من إعداد وزارة الشؤون الإسلامية ص**89**) .

ومن أمثلة المغيبات التي سئل عنها النبي ρ :

1) سؤال الصحابة - رضي الله عنهم - عن الله - عز وجل – .

وهو أعظم ما سُئل عنه النبيُّ ρ .قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في (درء تعارض العقل والنقل **178/3**) : " أعظم ما أخبرت به [الرسل] من الغيب هو الله سبحانه وتعالى " .

ومسألة الصحابة هذه قد ذكرها الله – عز وجل – وذكر جوابها بألطف أسلوب وأجمل عبارة ؛ حيث قال جل شأنه : [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ] .

وفي تفسير ابن أبي حاتم بسنده عن الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده τ قال : جاء رجل إلى رسول الله ρ فقال : يا رسول الله ! أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت ρ فأنزل الله : [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...].

2) سؤال اليهود عن الروح :

قال تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي وَمَآ أُوتِيتُم مّن الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً] .

وجاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن جرير في تفسيره (**542/17**) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال:" بينا أنا أمشي مع رسول الله ρ في حَرَّة بالمدينة، إذ مررنا على يهود، فقال بعضهم: سَلُوه عن الروح، فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون، فقاموا إليه، فسألوه ، فقام فعرفت أنه يوحى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إليه، فقمت مكاني، ثم قرأ(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلا) فقالوا : ألم ننهكم أن تسألوه ؟!"

ويلاحظ في جواب هذا السؤال الذي سأله هؤلاء أنه كان جواباً مقتضباً وذلك – والله أعلم – لسببين : إما لأنهم ليسوا أهل للإجابة ، أو استصغاراً وانتقاصاً لهم لكون عقولهم لا تستوعبه . وذلك كما لو سأل الطفل عن شيء فوق مداركه لصُرِف عن جوابه لصغر عقله وضعف استيعابه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن هذا الجواب الموجز فيه تنبيه على عظم المسؤول عنه ، وأنه من أمر الله في جميع شؤونه وماهيته وأحواله وليس للبشر فيه يد .

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – في كتابه (الروح ص153) أن الروح في القرآن جاءت على عدة أوجه :

أحدها : الوحي . كقوله تعالى :[وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...] .

الثاني : القوة والثبات والنصرة . كقوله تعالى : [أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ] .

الثالث : جبريل . كقوله تعالى :[نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأَمِينُ] .

الرابع : المسيح عيسى عليه السلام . كقوله تعالى : [إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ...] .

وذكر بعض المفسرين قولاً خامساً وهو : أن المراد بالروح ملك عظيم ذكروا في أوصافه أموراً منكرة لا يثبت منها شيء .

هذه أربعة أوجه جاءت في القرآن الكريم ليس منها معنى الروح بأنه نفس الكائن الحي . وإنما تلك جاءت بلفظ النفس فحسب .

لكن بعض العلماء ومنهم ابن كثير في تفسيره (116/5) رجحوا أن المراد بالروح التي سأل عنها اليهود هي النفس . فعلى هذا تكون الروح بمعنى (النفس) مذكورةً في القرآن .

3) سؤال اليهود عن ذي القرنين :

قال تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا] .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما أورده ابن جرير في التفسير(92/18) بسنده عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: "كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ρ ، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال: " ما لي وما لهم ؟ ما لي علم إلا ما علمني الله"، ثم قال:" اسكب لي ماء" ، فتوضأ ثم صلى ، قال: فما فرغ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: "أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي " فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: " إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا، وإن شئتم أخبرتكم" ، قالوا: بلى أخبرنا، قال: " جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم :كان شابا من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية ، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء ... " ثم ساق الحديث بطوله .والحديث ضعيف كما ذكر ذلك ابن حجر في (الفتح **129/10**) وكذلك الألباني في (السلسلة الضعيفة **197/3**) .

وقد اختلف المفسرون في ذي القرنين هذا : هل هو من الملائكة أم من الأنبياء أم من ملوك الأرض . وأرجح تلك الأقوال أنه ملك صالح وولي من أولياء الله ، وعليه أكثر العلماء كما قال ابن حجر (الفتح**383/6**) ، واختاره الشيخ السعدي في تفسيره (**74/5**) .

والملاحظ أن الجواب الذي أجيب به اليهود حين سألوا عن ذي القرنين كان جواباً طويلاً مفصلاً مع أنهم إنما سألوا ذلك تعنتاً وتعجيزاً ، فما هو السبب الذي جاء لأجله الجواب بهذه الصورة ؟

أجاب عن ذلك الشيخ عطية سالم – رحمه الله – في كتابه (السؤال والجواب في آيات الكتاب ص**228**) بقوله عن خبر ذي القرنين : "كأنه كنز من كنوز الأمم السابقة يُكشف ، أو لسان من ألسنة التاريخ يتكلم ، فتفتح له عيون عمياء ، وتصغي إليه آذان صمَّاء ، يشهد ما جاء به ρ من وحي يتلى ، وذكر يُسمع ، ثم جاء ولأوّل وهلة معلناً أنَّ ما وصل إليه هذا الإنسان الذي يُكبِرونه ويتعاظمون أفعاله ، إنما وصل إليه بتمكين من الله إياه ، وبما أعطاه الله من أسباب ومقومات " .

4) السؤال عن الساعة والبعث والجزاء :

وقد جاء سؤالهم عن هذه الأشياء بعدة أساليب مؤداها في النهاية استبعاد أمر الساعة واستغراب البعث والجزاء بعد الموت . ومن أمثلة ذلك :

1- [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاهَا] .

2- [أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ] .

3- [وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ] .

فهم بهذه الأسئلة يستبعدون الحياة بعد الموت وكانوا يقولون :[إِنْ هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ] ، [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] .

ومن هنا كان اهتمام القرآن بإثبات البعث بعدة أساليب وعلى عدة صور منها (السؤال والجواب ص**249**) :

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أولاً : النص الصريح في الموضع ،كما في سورة الحج [يأَيّهَا النّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مّنَ الْبَعْثِ فَإِنّا خَلَقْنَاكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمّ مِن مّضْغَةٍ مّخَلّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلّقَةٍ لّنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِرّ فِي الأرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى ثُمّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُوَاْ أَشُدّكُمْ وَمِنكُمْ مّن يُتَوَفّىَ وَمِنكُمْ مّن يُرَدّ إِلَىَ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقّ وَأَنّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىَ وَأَنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لاّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنّ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (7)] .

ثانياً : إنبات النباتات في الأرض ، أي : إحياء الأرض بعد موتها ، كقوله تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنّكَ تَرَى الأرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزّتْ وَرَبَتْ إِنّ الّذِيَ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىَ إِنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)] .

ثالثاً : المقارنة بين خلق السموات والأرض وخلق الإنسان .

فالذي خلق السموات والأرض هو الله – وهذا بإقرارهم – فإذا كان خالق هذه الأشياء هو الله فخلق الإنسان وإعادته أهون عليه كما قال تعالى : [وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ...] .

وقال عز وجل : [أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ] .

وقال : [لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] .

رابعاً : إحياء الموتى عياناً في الدنيا .وهذا على نوعين :

الأوَّل : الإحياء المعنوي . وهو الاستيقاظ بعد النوم .

والنوم موت كما قال تعالى : [اللّهُ يَتَوَفّى الأنفُسَ حِينَ مِوْتِـهَا وَالّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِـهَا فَيُمْسِكُ الّتِي قَضَىَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىَ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى ...] .

وأصحاب الكهف خير دليل على قدرة الله على إحياء الموتى حيث أنامهم الله في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً . ثم بعثهم الله بعد ذلك .

وهذا دليل على البعث بدليل قوله تعالى :[وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوَاْ أَنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ وَأَنّ السّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا ...] .

الثاني : الإحياء الحسي ، وهو إحياء بعد موت حقيقي . وقد ذكر الله ذلك في القرآن في عدة مواطن منها :

1– قتيل بني إسرائيل . قال تعالى : [وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (72) قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2- مَن خرجوا من ديارهم حذر الموت . قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ] .

3- طيور إبراهيم . قال تعالى :[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

4- عُزيرٌ – عليه السلام – وحماره . قال تعالى : [أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] .

ثانياً : أسئلة عن ظواهر كونية

وقد سأل الناسُ النبيَّ ρ في هذا الباب سؤالين :

الأول : **السؤال عن الأهلَّة** .

قال تعالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ...] .

والأهلة : جمع هلال ، وهو القمر في أوله ، وقد جاء سؤالهم لاستغرابهم من حال الهلال ؛ حيث يبدو صغيراً ثم يتدرج في نموه حتى يكتمل بدراً ، ثم يبدأ في التناقص وهكذا . فكان ذلك مما استرعى انتباههم وأثار السؤال لديهم .

قال السيوطي في (الإتقان 1 / 227) : " سألوا عن الهلال لمَ يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً قليلاً حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بد أ ؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبهاً على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه " .

وقد جاء الجواب كما قال ابن عاشور في (التحرير والتنوير164/2) : " غير مطابق للسؤال ، فيكون إخراجاً للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلَّب تنبيهاً على أن ما صرف إليه هو المهم له ؛ لأنهم في مبدأ تشريع جديد ، والمسؤول هو الرسول ρ ، وكان المهم لهم أن يسألوه عما ينفعهم في صلاح دنياهم وأخراهم ، ولذلك صرفهم عن مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى ، لاسيما والرسول لم يجئ مبيناً لعلل اختلاف أحوال الأجرام السماوية " .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وجواب الله تعالى [قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنّاسِ] فيه دليل على أن التوقيت المعتبر في حساب الشهور هو التوقيت القمري وليس الشمسي ؛ لأنه التوقيت الفطري الذي يستوي في معرفته الحاضر والباد، والعالم والجاهل ، والصغير والكبير ؛ وذلك لأن استهلال الأهلة آية كونية محسوسة مرئية ، بخلاف منازل الشمس ومسيرها وتنقلها في البروج التي هي الجوزاء والسرطان ونحوها ، فإن معرفة ذلك لا تكون إلا لمن يعلم مسار النجوم ومطالعها ، وليس ذلك لكلّ الناس .

الثاني (من الأمثلة الكونية) : سؤالهم عن الجبال .

قال تعالى :[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً ...] والسؤال عن الجبال أمر متوقع ، وذلك لأنها من مخلوقات الله العظيمة في شكلها وحجمها مما يسترعي انتباه الإنسان وإثارة السؤال عنده .

وقد لفت القرآن الكريم إليها الإنسان ليتأمل في عظم خلقها وجمال صنعها كما قال تعالى :[وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] .

والملاحظ في الجواب أنه سُبِق بالفاء (فقل) على خلاف الأجوبة الأخرى فإنها جميعها خلت من الواو [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ ..] ،[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ ..]...إلخ والسبب في ذلك كما ذكره القرطبي في تفسيره (245/11) يعود إلى أن الآية إنما نزلت قبل سؤالهم، وقد علم الله أنهم سيسألون فأجابهم قبل السؤال ، والتقدير: إن سألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيكون الكلام قد تضمَّن معنى الشرط ، فكان الجواب مقترناً بالفاء .

والملاحظ في جواب الله تعالى عن سؤالهم يلمح معنىً مهمًّا ، وهو أنهم حين يسألون عن هذه الجبال الضخمة العظيمة المترامية في أنحاء الأرض والتي يقف الإنسان عندها حائراً مستعظماً لشأنها وصلابتها وارتفاعها الشاهق مع هذا كلِّه فهي في قوة الله وقدرته لا شيء ! ولهذا جاء الجواب:[يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاّ تَرَىَ فِيهَا عِوَجاً وَلآ أَمْتاً] . وفيه تنبيه على عظمة الخالق وقدرته التي لا تحيط بها العقول البشرية القاصرة .

ثالثاً : أسئلة عن أحكام شرعية

وقد سأل الصحابة – وأحياناً غيرهم من المشركين وأهل الكتاب – أسئلةً عن حكم الله تعالى في بعض أمورهم التي تشكل عليهم . وقد جاء الجواب عنها جميعاً شافياً كافياً .

فمن ذلك :

1- السؤال عن الإنفاق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد جاء السؤال عن الإنفاق في القرآن مرتين بصفتين متفقتين ، وجاء الجواب مرتين بجوابين متغايرين .

السؤال الأول قوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ] .

والسؤال الثاني قوله تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ..] .

والملاحظ في السؤال الأوّل أنهم سألوا عن ماهية الإنفاق وجنسه ونوعه ومقدارِه ، وقد جاء الجواب مبيناً مصرف الإنفاق وجهته [قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السّبِيلِ] . وقد جعل الله مصارف الإنفاق مرتبة حسب الأولوية والقرب ثم ختم الجواب بقوله :[وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ] .ومعلوم أن المقصود ليس الإخبار بعلمه – سبحانه – فهذا أمر معلوم بالضرورة ؛ لكن المقصود – والله أعلم – الوعد بالجزاء الحسن للمنفقين .

وهذا الجواب الذي ذكره الله مطابق للسؤال ، فإنهم وإن سألوا ماذا ينفقون ، فإن الجواب قد تضمن ما ينفقونه وما ينفقون عليه .

فالذي ينفقونه هو قوله :[قُلْ مَآ أَنْفَقْتُمْ مّنْ خَيْرٍ] فقوله: [خَيْرٍ] هو المال كما ذكر ذلك الطبري في التفسير (**292/4**) ، وهو نظير قوله تعالى : [وَإِنّهُ لِحُبّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ] أي المال . ولا يبعد أن يكون الإنفاق من غير المال داخلاً في الآية على اعتبار أن ذلك كلَّه من الخير والبرّ الذي أمر الله به .

وأما جواب سؤالهم الثاني عن الإنفاق فقد جاء لبيان مقدار الإنفاق [وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ] .

وقد اختلف المفسرون في معنى [الْعَفْوَ] على أقوال (تفسير ابن كثير **579/1**) :

قال بعضهم :هو اليسير ، وقيل : الأطيب ، وقيل : الزائد الفضلة ، وهو أصحها .

والمعنى : أنفقوا ما زاد عن حاجاتكم التي لا غنى لكم عنها .

وهل الإنفاق الوارد هنا على وجه التخيير أم الإلزام ؟

قال بعض العلماء : المراد صدقة التطوع ، فيكون الإنفاق على وجه التخيير .

وقال بعضهم بل المراد : التطوع والواجب ؛ لأن الواجب لا يكون واجباً إلا إذا بلغ النصاب .

فالحبوب والثمار مثلاً لا تجب الزكاة فيها إلا إذا بلغت نصاباً وهو خمسة أوسق فهي بهذا الاعتبار فيها زيادة فتخرج هذه الزيادة صدقة واجبة .

وكذلك زكاة المال لا تجب إلا في الزائد ، وذلك أنها لا تكون إلا على من ملك نصاباً ومكث عنده المال حولاً كاملاً ، وهذا دليل على استغنائه عنه ، فكان الزائد ينفق في سبيل الله .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2- السؤال عن القتال في الشهر الحرام (1) .

قال تعالى [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه البيهقي والطبراني عن جندب بن عبد الله τ قال : بعث رسول الله ρ رهطا وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ أَوْ عُبَيْدَةَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صُبَابَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بن جَحْشٍ مَكَانَهُ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَ : " لا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ " ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، فَرَجَعَ رَجُلانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ رَجَبٍ أَوْ جُمَادَى ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ : قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} .

وقد جاء الجواب للمشركين وكلِّ من استعظم القتال في الشهر الحرام مفحماً قويَّ الحجة يقارن بين أمرين : القتال في الشهر الحرام ، وهو أمر عظيم بلا شك ، وفتنة المسلمين وإخراجهم من ديارهم وإيذائهم وهذا أعظم إثماً وأشدُّ جرماً . فإذا كان الأمر كذلك فما بال الإنكار على القتال في الشهر الحرام وغض الطرف عما هو سبب للقتال فيه وهو فتنة المسلمين وإلحاق الضرر بهم ؟!

يقول سيد قطب – رحمه الله– (في ظلال القرآن 205/1) : " إنما هم المشركون هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله ، والكفر به وبالمسجد الحرام ، لقد صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله ولقد كفروا بالله وجعلوا الناس يكفرون ، ولقد كفروا بالمسجد الحرام ، انتهكوا حرمته؛ فآذوا المسلمين فيه ، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاماً قبل الهجرة ، وأخرجوا أهله منه وهو الحرم الذي جعله الله آمناً ، فلم يأخذوا بحرمته ولم يحترموا قدسيته ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام ، وفتنة الناس عن دينهم أكبر عند الله من القتل . وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام " .

3- السؤال عن الخمر والميسر :

(1) أدرج هذا السؤال تحت مبحث " أمثلة عن أحكام شرعية " بناء على أن السائل هم المسلمون فهم يحتاجون معرفة حكم القتال في الأشهر الحرم ، وأما إذا اقلنا إن السؤال كان من قبل المشركين فيكون ملحقا بمبحث " أسئلة العناد والاستكبار ".

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ...] .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني عن عمر بن شرحبيل أن عمر بن الخطاب τ قال :اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ }الْآيَةَ ، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى }فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ إِلَى قَوْلِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ }فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا.

والسؤال هنا واضح قطعاً أنه سؤال استرشاد وتعلُّم ، والملاحظ أن الله تعالى أخبر أنهم [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ] فهل هم يسألون عن ماهيتها أي أنهم لا يعلمون ما هي ؟ الجواب بالطبع : لا ؛ لأن الخمر شيء ألفوه وعرفوه لكن السؤال عن حكمها ، فالتقدير : يسألونك عن حكم الخمر والميسر .

واقتران الخمر بالميسر في السؤال وشمولهما في الجواب يدل على أن بينهما عاملاً مشتركاً ، ولعله – والله أعلم – ما يحدث فيهما من البذل والفخر ، ولعلَّ مما يعضد ذلك أن الآية التي جاءت بعد هذه الآية مباشرة هي آية الإنفاق [وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ...] أي أن الإنفاق يكون بطيب نفس وتسامح وهو ما زاد على الحاجة ، وهو ليس كالإنفاق على الميسر ؛ لأنه إنفاق إلزامي ألزموا به أنفسهم فيما أقروه من نظام محرَّم في المال المقامر به .

ومما هو معلوم أن الجواب عن الخمر والميسر جاء في هذه الآية كبداية للتدرج في الوصول إلى الحكم بالتحريم القطعي ، فكان ذلك من حكمة الله تعالى البالغة حيث إن الخمر مما ألفته العرب ونشأت عليه فكان تركهم لها جملة واحدة فيه عسر ومشقة ؛ ولذلك راعى الله ذلك فجعل الحكم متدرجاً ، وهو الحكيم الخبير .

3- السؤال عن اليتامى .

قال تعالى : [...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما أورده ابن جرير في التفسير (350/4) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت [وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] و[إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا] انطلق من كان عنده يتيمٌ فعزل طعامَه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضُل الشيء من طعامه فيُحبس له حتى يأكله أو يفسُد. فاشتدَّ ذلك عليهم،

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فذكروا ذلك لرسول الله ρ، فأنزل الله عز وجل:" ويسألونك عن اليتامى قل إصْلاح لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم"، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم .

والسؤال في الآية الكريم جاء بذكر (اليتامى) بلفظ الجمع ، وهذا فيه إشعار بأن هذا الجنس كثير ، وهو يشكل قضية في مجتمعهم ، خاصة مع كثرة الحروب وكثرة القتلى .

وقد جاء السؤال عن اليتامى مرتبطاً بأسئلة قبله ، وسبب ذلك كما يقول الشيخ عطية سالم في كتابه (السؤال والجواب ص148) : " ويظهر الارتباط بين موضوع اليتامى والذي قبله في أن الموضوع الذي قبله هو السؤال عن نوعية ومقدار الإنفاق ، وجاء الجواب مرشداً إلى أنه في حدود { الْعَفْوَ }... ثم يأتي موضوع اليتيم وكأنه يفيد بأنه إذا كان الإنفاق في أموال غير اليتامى لا ينبغي أن يتعدى حدود العفو ، فمال اليتيم من باب أولى ، فلا ينبغي لوليه أن يتعدى حدود الإصلاح له ، كما أن السياق يعطينا بدلالة الاقتران أن اليتيم قضية اجتماعية فتطلب النظر فيها ، كتلك القضايا المقترنة بها من خمر وميسر وإنفاق".

4- السؤال عن المحيض :

قال تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وصححه الألباني عن أنس بن مالك τ قال : كَانَتْ الْيَهُودُ إِذَا حَاضَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُشَارِبُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهَا فِي الْبُيُوتِ ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ ρ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى } ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ρ أَنْ يُؤَاكِلُوهُنَّ وَيُشَارِبُوهُنَّ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَهُنَّ فِي الْبُيُوتِ وَأَنْ يَفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا النِّكَاحَ فَقَالَتْ الْيَهُودُ مَا يُرِيدُ أَنْ يَدَعَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ ! قَالَ : فَجَاءَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ρ فَأَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ وَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَنْكِحُهُنَّ فِي الْمَحِيضِ ؟ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ρ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِمَا ، فَقَامَا فَاسْتَقْبَلَتْهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ρ فِي أَثَرِهِمَا فَسَقَاهُمَا فَعَلِمَا أَنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمَا .

والملاحظ في جواب السؤال عن المحيض أنه قدم العلة على الحكم ؛ وذلك من أجل أن تنفر النفوس من هذا الفعل قبل أن يُعلم الحكم به ، فتكون بذلك مهيَّأة لقبول الحكم كما ذكر ذلك الشيخ ابن عثيمين في (تفسير سورة البقرة ص45) .

وعند التأمل في لفظ {أَذًى} نلحظ براعة اللفظ القرآني حيث عبر عن الحيض بأنه {أَذًى}. والأذى عند بعض المفسرين يعني : القذارة والنتن ، وعند بعضهم : الدم (تفسير الطبري 375/4) ، ولا شك أن كلا الأمرين أذى للرجل أو للمرأة فيما لو وقع جماع حال الحيض .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومما يلاحظ في جواب هذا السؤال أيضاً حسن أسلوب القرآن ؛ لأنه جمع في هذه الآية بين التطهر المعنوي الباطني ، والتطهر الحسيّ الظاهري ؛ لقوله تعالى : [يُحِبّ التّوّابِينَ] وهي طهارة باطنة ، وقوله تعالى : [وَيُحِبّ الْمُتَطَهّرِينَ] وهي طهارة ظاهرة ، قاله الشيخ العثيمين (تفسير البقرة ص66) .

5- السؤال عن الحلال من الأطعمة :

قال تعالى : [يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] .

وقد جاء في سبب نزول الآية ما رواه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده عن أبي رافع قال : " أمرنا رسول الله ρ بقتل الكلاب فقال الناس : يا رسول الله ، ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها ؟ فأنزل الله [يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ، وما علمتم من الجوارح مكلبين ...] .

وهذه الآية الكريمة التي جاءت جواباً لسؤال عن الحلال من الأطعمة جاءت في غاية الإعجاز ؛ حيث اشتملت على عدد من المعاني في عبارات موجزة بديعة النظم .

والسؤال الذي أورده الله حكاية عنهم فيه شمول وعموم حيث ورد بصيغة من صيغ العموم {مَاذَا} ، وجاء الجواب كذلك عاماً بجنس العموم {الطّيّبَاتُ}، فهو أشمل سؤال وأعم جواب بالنسبة لما تقدم من الأسئلة التي كانت عن الأهلة أو الشهر الحرام أو المحيض ، وبهذا الجواب عُرف الحلال من الحرام ، فالحلال هو كل الطيبات ، وبمفهوم المخالفة فإن الحرام هو كل ما لم يكن من الطيبات وهي الخبائث ، وهي قاعدة عامة تغني عن كثير من التفصيلات والتقاسيم .

6- السؤال عن الأنفـال :

قال تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ] .

جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص τ قال : " نزلت فيَّ أربع آيات أصبت سيفاً أَتَى بِهِ النَّبِيَّ ρ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِّلْنِيهِ. فَقَالَ " ضَعْهُ ". ثُمَّ قَامَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ρ "ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ ". ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَفِّلْنِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ " ضَعْهُ " . فَقَامَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِّلْنِيهِ أَأُجْعَلُ كَمَنْ لاَ غَنَاءَ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ρ : " ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ ". قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ..] .

وقد ذكر البغوي في تفسيره (323/3) سبب نزول أعم من هذا وهو أن النبي ρ قال يوم بدر : " من أتى مكان كذا فله من النفل كذا ومن قتل قتيلا فله كذا ومن أسر أسيرا فله كذا"، فلما التقوا تسارع إليه الشبان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ρ ، فقال الأشياخ: كنا ردءا لكم ولو انهزمتم لانحزتم إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، وقام أبو اليسر بن عمرو

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يا رسول الله إنك وعدت أن من قتل قتيلا فله كذا ومن أسر أسيرا فله كذا وإنا قد قتلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعين، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله يا رسول الله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن عن العدو، ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليه خيل من المشركين فيصيبوك، فأعرض عنهما رسول الله ρ . وقال سعيد: يا رسول الله إن الناس كثير والغنيمة دون ذلك، فإن تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لأصحابك كبير شيء، فنزلت: [يسألونك عن الأنفال ...] .

وقد اختلف المفسرون في معنى [الأَنْفَالِ] المذكورة ، فقيل : هي الغنائم ، وقيل : هي ما يعطيه الإمام لمن أراد من سيف أو فرس ، وقيل : الخمسُ ، وقيل : ما شذَّ من أموال المشركين إلى المسلمين كالفرس الغائر والعبد الآبق وقيل غير ذلك . انظر : (البحر المحيط 28/6) .

والسؤال هنا في الآية هل هو سؤال استخبار ليعرفوا الجواب ، أم هو سؤال طلب يبغون به الغنيمة؟

قولان لأهل العلم ذكرهما البغوي في تفسيره (325/3) ، فأما إن كان سؤال استخبار فهو ظاهر في النظم . وأما إن كان سؤال طلب فيكون التقدير (يَسْأَلُونَكَ من الأَنْفَالِ) فتكون (عن) بمعنى (مِنْ) . وقيل : هي حرف صلة ، فيكون التقدير : (يسألونك الأنفالَ) وهي قراءة ابن مسعود .

والقولان محتملان ويمكن الجمع بينهما بأن يقال : هم يسألون عن تقسيم الأنفال ليعرفوا ما يريدونه منها فكأنهم بسؤالهم عنها إنما يسألونها لكن بعد أن يعرفوا حكم الله فيها .

وقد جاء الجواب هنا موجزاً مختصراً [قُلِ الأنفَالُ للهِ وَالرّسُولِ] أي : حكمها وتصريفها لله ولرسوله ρ ، ثم يأتي السياق بعد ذلك بما هو أهم وأولى من ذلك وهو إصلاح ما بينهم ونبذ الشحناء والخلاف والتخاصم فجاء الأمر بتقواه ، [فَاتّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ ...] فهم وإن انتصروا في معركة بدر على الأعداء لكن بقي أن ينتصروا على ما هو أعظم من ذلك وهي حظوظ النفس وشهواتها وهذا هو الانتصار الحقيقي ، فإذا حققوه فقد استكملوا النصر وفازوا بسعادة الدارين . ثم استمر السياق في الأمر بطاعة الله ورسوله وبيان صفات المؤمنين وأنهم أهل خشية لله ، وتزيدهم الآيات إيماناً به وتصديقاً بموعوده ، ولذلك فهم دائمو التوكل عليه ...إلى آخر ذلك من الصفات التي تتابع ذكرها في الآيات ، وبعد ذلك كله جاء التفصيل في الأنفال بقوله [وَاعْلَمُوَا أَنّمَا غَنِمْتُمْ مّن شَيْءٍ فَأَنّ للهِ خُمُسَهُ] فتكون النفوس قد تهيأت واستعلت عن شهواتها فجاء قبولها بحكم الله وتقسيمه للأنفال .

رابعاً : أسئلة العناد والاستكبار

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذه تكون من المشركين وأهل الكتاب وأقوام الأنبياء السابقين ، ويسألها أصحابها معاندةً ومكابرة وتعجيزاً لأنبيائهم .

وجواب هذه الأسئلة يأتي غالباً مسكتاً مفحماً لهؤلاء القوم . ومن أمثلة هذه الأسئلة :

1 – قصة تنصيب طالوت ملكاً .

قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)] .

فسؤالهم { أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا} سؤال اعتراض واستكبار ، وليس لهم حق في طرحه بدليل تعليلهم الساذج { وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ} ، ولهذا جاء الجواب مسكتاً { إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ} ولاشك أن اصطفاء الله خير من اصطفائكم أنتم ؛ لأنه العالم بخلقه [أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] . ثم إن المُلك من شأن الله يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء ، ولذلك قال لهم : [وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ] .

2- سؤال المشركين إنزال القرآن على رجل ذي حسب ومال :

قال تعالى : [وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ] .

قال ابن كثير : " قولهم { لَوْلاَ نُزِّلَ } أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى [لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ] يعني : هلا كان إنزاله على آخر كبير عظيم في أعينهم من القريتين " . وهذا هو عين الاعتراض على حكم الله واصطفائه ، ولهذا جاء الجواب كذلك مسكتاً [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] فهو أمر الله إذاً ولا حق لأحدٍ كائناً من كان الاعتراض على تقديره سبحانه .

3- سؤال المشركين جعل الرسول ملكاً من الملائكة :

قال تعالى : [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً (94) قُل لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً] .

وهذا ضرب من الحماقة ؛ لأنه لو كان الرسول ملكاً لاعترضوا وقالوا : هذا ملك فكيف تريدون منا أن نفعل مثله ونقتدي به ، وهو قد جبل على الطاعة ولا يعرف المعصية ؟! ، ولهذا قال جل شأنه : [وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقد رد الله عليهم في الآية التي أرادوا فيها أن يكون الرسول ملكاً بجواب قاطع : [قُل لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً] ، أي لو كان عمّار الأرض ملائكة لما أرسلنا إليهم إلا ملكاً من جنسهم ؛ ليقتدوا به ، وليتوافق مع فطرتهم التي فطروا عليها .

خامساً : أسئلة التثبيت واليقين

قد لا تأتي الأسئلة استفهامية ولا استفتائية عن حكمٍ مجهول ، ولكنها تأتي رغبة في الطمأنينة والتثبيت وزيادة اليقين ، وتجديد الإيمان برب العالمين . ومن أمثلة هذا النوع :

1- سؤال إبراهيم الخليل – عليه السلام – ربَّه عن كيفية إحياء الموتى .

قال تعالى : [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

وسؤال إبراهيم هنا واضح مغزاه وذلك في قوله :{ وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} فالهدف زيادة الطمأنينة والإيمان والتصديق على وجود أصله ، ولهذا لما سأله الله تعالى { أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى } .

2- سؤال عزير – عليه السلام -عن كيفية إحياء الله للقرية الخراب :

قال تعالى : [أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] .

وعزير نبيٌّ – على الراجح من أقوال المفسرين – ولم يكن سؤاله { أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا } سؤال إنكار لقدرته تعالى ؛ بل لمجرد استعظام ما رأى لا شكاً في قدرة الله .

3- سؤال الحواريين إنزال مائدة من السماء :

قال تعالى : [إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيَ أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ] .

والحواريون من صلحاء بني إسرائيل فليس سؤالهم تشكيكاً في صدق نبوءة عيسى ، ولا في قدرة الله تعالى ، وإنما زيادة في اليقين والإيمان ، ولهذا لمَّا استعظم عيسى عليه السلام سؤالهم فقال : { اتَّقُواْ اللّهَ إِن

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كُنْتُم مّؤْمِنِينَ } أجابوه بما يدل على إيمانهم {قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ }.

وأما قولهم { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبّكَ } فليس تشكيكاً في قدرة الله وإنما توجيه الكلام على ما ذكره جمعٌ من المفسرين يكون على أحد الوجوه التالية :

أحدها : أن معنى الاستطاعة (الإمكان) ، أي هل يمكن أن ينزل علينا مائدة من السماء ، وذلك لأنه سؤال على غير العادة ، ولم يطلبه أحد قبلهم ، فهم مستبعدون أن الله يجيب طلبهم هذا .

وأما إضافتهم لفظ (الرب) لعيسى – عليه السلام – فهو تكريم لعيسى وتحقيق لشدة الرغبة في إجابتهم طلبهم ؛ لأنهم يعلمون قوة صلة عيسى بربه – عز وجل – وسرعة استجابة الله لعيسى – عليه السلام – أكثر منهم .

ونظير هذا ما جاء في الدعاء : " اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل ... " مع أنه رب الجميع .

الثاني : أن المقصود هل تستطيع يا عيسى أن تسأل ربك ...،ويؤيد هذا قراءة { هل تستطيع ربَّك } ، أي : سؤاله .

والملاحظ في الإجابات السابقة التي جاءت على قصد التثبت واليقين أن الجواب جاء مفصلاً شاملاً فيه الدليل العملي والبرهان الساطع على قدرة الله تعالى ؛ لأن المقام يتطلب ذلك .

سادساً : أسئلة التفخيم والتهويل

وهذا أسلوب من أساليب البلاغة العربية ، حيث يصاغ الكلام في أسلوب استفهام لا يراد منه الجواب ؛ بل لأن المسؤول عنه ليس في علم المسؤول وليس بوسعه الإجابة عنه ، ولكن يوجه إليه السؤال إظهاراً لعجزه ، وبياناً لفخامة المسؤول عنه وعظم شأنه وتهويل أمره . ومن أمثلة ذلك .

1– قوله تعالى : [الْحَاقّةُ (1) مَا الْحَآقّة (2) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحَاقّةُ] .

2– قوله تعالى : [الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ] .

3– قوله تعالى : [إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ].

4– قوله تعالى : [كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ].

والملاحظ في الآيات السابقة أن السؤال جاء لأحد غرضين :

الأول : التهويل من شأن المسؤول عنه كما في الآية الأولى والثانية .

الثاني : تفخيم شأنه كما في الآية الثالثة والرابعة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

This file was downloaded from QuranicThought.com